مقاصد الشريعة في ضوء أخلاق النبي محمد ﷺ الاجتماعية (نماذج تطبيقية)

إعداد: د. نبيل محمد غريب شبيب الزبيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

لقد اهتم البحث بالنظر في تحقق مقاصد الشريعة في عموم أخلاقيات النبي ﷺ، فظهرت تلك الأخلاقيات جليةً في تعاملاته الأسرية وغير الأسرية، بل الاجتماعية عموما، فنجده مع زوجاته، وما يحمله من صفة الوفاء والتواضع ومراعاة مشاعرهم، ومع مواليه في صفة الاحترام، ومع صحابته، وتنمية ما يحملون من قدراتهم الذاتية، ومع غير المسلمين وصفة الانسانية، وكل تلك الصفات المتجلية والمتجذرة فيه-عليه الصلاة السلام-جعلتنا نبحث عن المقاصد الشرعية فنجدها في شخصيته، وقد أخذت طابع الكمال، بل أرقى مراتب الرقي فيه ﷺ.

Abstract:

The research was interested in looking at the realization of the Objectives of Shari'ah in the general ethics of the Prophet Mohammed (Pbuh).These ethics appeared clearly not in his family and non-family treatments , but social and

generally .It is found that his humility with his wives and the qualities of loyalty and humility and respect for their feelings, and with his followers in the status of respect and with his companions and the development of what they carry ,their own abilities and with non-Muslims and the trait of humanity as well as all those traits manifested and rooted in the Prophet Mohammed (Pbuh) made us looking for legitimate objectives which are already found in his personality which has taken the character of perfection and even the highest ranks of sophistication.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا.

وبعد: لقد اخترت موضوع بحثيَ الموسوم: (مقاصدُ الشريعة في ضوء أخلاقِ النبي محمد ﷺ الاجتماعية)، فالرسول ﷺ حدد الغاية الأولى من بعثته والمنهاج المبين في دعوته بقوله- عليه الصلاة والسلام: "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"(١)، فكانت الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، فأنارت آفاق الكمال أمام أعين الناس حتى يسعوا إليها على بصيرة في حياة مشرقة بالفضائل والآداب.

(١) حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا، السنن الكبرى، للبيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ١٠/١٩١، ح(٢٠٥٧٠)، مكتبة دار الباز - مكة، ١٤١٤ هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، والمستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، باب ومن كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة، ٢/٦٧٠، ح(٤٢٢١)، واللفظ للبيهقي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عط، العلمية/ بيروت، ١٤١١هـ، ط١، وقال عنه الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وعلّق عليه الذهبي في التلخيص كذلك: على شرط مسلم.

فليست الأخلاق من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها بل هي أصول الحياة، وهي من مقاصد الشريعة التي يرتضيها الدين ويحترم ذويها، وقد تكون لكل دين شعائر خاصة به تُعتبر سمات مميّزة له، فالمسلم مُكلَّفٌ أنْ يَلْقى أهلَ الأرض قاطبةً بفضائل لا ترقى إليها شبهة، فالصدق واجبٌ على المسلمِ مع المسلمِ وغيرِه، وكذا السماحة والوفاء والمروءة والتعاون والكرم..، وهذهِ كلها تُعدُّ من المبادئ العامة والمقاصد الكلية التي يعود نفعها لعموم الأمة.

والهدفُ هو أنْ تنشأ الذرية المحمدية التي تجمع بين الخُلُقِ والدين، وتنتشل شباب المسلمين الذين حُرموا من التربية المحمدية في أسرهم، فأصبحوا بين مطرقة التشددِ والإرهاب وسندان الانفتاحِ على الغرب، فلا بد من اتباعِ منهجِ الوسطية التي جاء بها رسول الله ﷺ في تعاملاته الاجتماعية مع زوجاته ومواليهِ وصحابته بل مع الكفّار وأهل الكتاب، فنحن بحاجة ماسة لرؤية أخلاق النبي محمد ﷺ تُطبّقُ في جميعِ معاملاتنا ابتداءً من أُسرنا مع أزواجنا وأولادنا حتى تشملَ وتعُمَّ جميعَ المجتمع..

وقد قسمت بحثيَ الموسوم: (مقاصدُ الشريعة في ضوء أخلاقِ النبي محمد ﷺ الاجتماعية) إلى مقدمةٍ وأربعة مباحثَ، سبقتها بمبحثٍ تمهيديٍّ خُصَّ بتعريفِ مقاصد الشريعة، أمّا المبحث الأول، فسميته: مقاصد النبي ﷺ الأخلاقية في معاملة زوجاته، وأما المبحث الثاني، فسميته: مقاصد النبي ﷺ الأخلاقية في معاملة مواليه، وأما المبحث الثالث، فسميته: مقاصد النبي ﷺ الأخلاقية في معاملة أصحابه، وأما المبحث الرابع، فسميته: مقاصد النبي ﷺ الأخلاقية في معاملة الكفار ومنهم أهل الطائف وصبره على أذاهم. وذكرت في كل مبحث نماذج من تعاملات النبي ﷺ، وأما الخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

وأسأل الله تعالى أنْ أكون قد وفقت في بحثي هذا، والحمد لله ربِّ العالمين.

خطة البحث:

وبعد: فهذا بحث سميته (مقاصد الشريعة في ضوء أخلاق النبي ﷺ الاجتماعية) ويتكون من مقدمة شملت أهمية الموضوع، ومبحث تمهيدي وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث التمهيدي: التعريف بمقاصد الشريعة

المبحث الأول: مقاصد النبي ﷺ الأخلاقية في معاملة زوجاته.

النموذج الأول: خُلُق الوفاء.

النموذج الثاني: خُلُق التواضع.

النموذج الثالث: خلقه في مراعاة مشاعر زوجاته.

المبحث الثاني: مقاصد النبي ﷺ في معاملة مواليه.

النموذج الأول: سفينة مولى رسول الله ﷺ.

النموذج الثاني: يسار الراعي مولى رسول الله ﷺ.

النموذج الثالث: أَنَسٍ رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ.

المبحث الثالث: مقاصد النبي ﷺ في معاملة أصحابه.

النموذج الأول: أسامة بن زيد رضي الله عنه.

النموذج الثاني: الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه.

النموذج الثالث: عمرُ وخالدُ وأبو عبيدة (رضي الله عنهم).

المبحث الرابع: مقاصد النبي ﷺ في معاملة الكفار.

النموذج الأول: تعامل النبي ﷺ الأخلاقي مع أهل الطائف.

النموذج الثاني: تعامل النبي ﷺ الأخلاقي مع جنازة اليهودي.

المبحث التمهيدي

التعريف بمقاصد الشريعة

قبل الحديث عن التعريف بمقاصد الشريعة أود الحديث عن العقل المقاصدي ووصف الشريعة، "فالعقل المقاصدي الذي بناه القرآن والسنة، انطلق من الوحي، وارتكز على التفكير، وتوجه صوب الفطرة الإنسانية، واستخدم الأسلوب البياني والبرهاني، ووثق طروحاته بشهادة الواقع، وعبر التاريخ ومصائر الأمم بسبب فساد تعاطيها للأسباب، وعرض مشاهد لواقعها في العقيدة والعبادة والسياسة والتشريع والفكر والثقافة والعادات والأخلاق والموروث الاجتماعي، وأظهر العقل لنا هذا النتاج الفكري الواسع في مجالات الحياة"(١).

أما الشريعة الإسلامية فتعد نظاما متكاملا ونسيجًا يكمل بعضه بعضًا، ويفسر بعضه بعضًا، ولذلك كان النظر المقاصدي قائمًا على هذا الاعتبار، إذ لا يمكن مراعاة مقصد معين ومصلحة جزئية إلا إذا كان غير عائد على ما هو أهم بالإبطال والتعطيل، وأن يكون خادمًا للنظام المقاصدي كله(٢).

وقبل التوسع في النظرة المقاصدية لا بد أن نفهم مصطلح مقاصد الشريعة، ثم نترجم المصطلح في الكيفية التي وجدناها مع النبي ﷺ وتعامله الاجتماعي المقاصدي.

---

(١) الاجتهاد المقاصدي –حقيقته– تاريخه– حجيته– ضوابطه–مستلزماته–مجالاته معالمه وتطبيقاته المعاصرة، (١٤)، نور الدين مختار الخادمي، تقديم: الشيخ عمر عبيد حسنة، دار ابن حزم /بيروت، ١٤٣١هـ، ط١.

(٢) المصدر نفسه، ١٩٣/١.

فالمقصد أصل فعله: قصد يقصد، ولغة: استقامة الطريق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[١]، والقصد: خلاف الإفراط، وهو بين الإسراف والتقتير[٢].

والشريعة لغة: الطريقة، ويعبر بها عن مورد الماء الذي يرده الناس وغيرهم للتزود منه بالشرب[٣].

أما مقاصد الشريعة، باعتباره لقبًا مخصوصًا، فذكروا له تعريفات، أذكر نماذج منها:

عرفها **الشاطبي**[٤] باعتبار مقصد الشارع والمكلف وكل منها يكمل الآخر في تعريف مقاصد الشريعة قائلا: "إنّ الشارع قد قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية وذلك على وجه لا يختل لها به نظام، لا بحسب الكل ولا بحسب الجزء"[٥]، وقال في مقاصد المكلف:

---

(١) سورة النحل، الآية ٩.

(٢) ينظر لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط١، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، بيروت/ دار لسان العرب، مادة قصد، ٩٦/٣.

(٣) ينظر معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة شرعَ، ٦٢/٣ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر/ بيروت، ١٣٩٩هـ.

(٤) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ من أهل غرناطة كان من أئمة المالكية وهو صاحب الموافقات في أصول الفقه، والمجلى شرح كتاب البيوع من صحيح البخاري. موسوعة الأعلام، إعداد: وزارة الأوقاف المصرية، ٢٩٨/١، د ت.

(٥) الموافقات، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير للشاطبي (ت٧٩٠هـ)، شرح وتعليق: عبد الله الدراز، النوع الأول: مقاصد وضع الشريعة ابتداء، المسألة السابعة: القصد من التشريع إقامة المصالح، المكتبة التوقيفية /القاهرة، ٢٠٠٣م، ٣٠/٢.

"القصد الشرعي من وضع الشريعة: إخراج المكلف من داعية هواه حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبدا لله اضطرارًا"(١)، وملخص التعريفين: أنّ المصالح الدنيوية والأخروية للمكلف لا بد أن تتوافق مع النظام الكوني الإلهي المهيأ للعبادة بعيدًا عن الهوى.

وقد صور لنا **ابن عاشور**(٢) المقاصد مطلقًا قائلًا: "المقاصد هي الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها، والتي تسعى النفوس لتحصيلها بمساع شتى، أو تُحملُ على السعي إليها امتثالًا"(٣)، وقسمها إلى قسمين: مقاصد الشرع، ويتفرع عنهما ما يسمى بالمقاصد الشرعية الخاصة في أبواب المعاملات: "وهي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة؛ كي لا يعود سعيهم في مصالحهم الخاصة بإبطال ما أسس لهم من تحصيل مصالحهم العامة إبطالًا عن غفلة أو عن استزلالِ هوى وباطل وشهوة)(٤).

(١) الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ، ط١، ٣٠/٢.

(٢) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الشهير بالطاهر بن عاشور، بتونس في (١٨٧٩م) في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس. وقد استقرت هذه الأسرة في تونس بعد حملات التنصير ومحاكم التفتيش التي تعرض لها مسلمو الأندلس. توفي (١٩٧٣م). ينظر مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، (٣) وما بعدها.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، دار البصائر للإنتاج العلمي، ١٤١٨هـ، ط١. (٣٠٠).

(٤) المصدر نفسه: ٣٠٠.

ومقاصد التشريع العامة: "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من الأحكام، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"[١]، ومن أدرك هذه المقاصد أصبح ذا مَلَكةٍ ينحو نحو مقصود الشارع عند عروض المصالح والمفاسد لأحوال الأمة جلبًا ودرءا"[٢]، وقد عرفها علّال الفاسي[٣]: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها)[٤].

(١) الموافقات: ١٧١.

(٢) السابق: ٢٠٩.

(٣) علّال الفاسي (١٩٠٨-١٩٧٤م)، هو علّال عبد الواحد الفهري، زعيم وطني من علماء المغرب، أبعد مرات عدة من بلده، تولى الأوقاف الإسلامية، ودرس في كلية الحقوق. ينظر معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي/ دمشق، د ت، (١٥٣).

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علّال الفاسي، دار البيضاء/المغرب، نشر مكتبة الوحدة العربية، د ت،(٤).

المبحث الأول

مقاصد النبي ﷺ الأخلاقية في معاملة زوجاته

بعد أن بينت تعريف المقاصد باعتبارها غايات وأسرار وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها أود أن أستثمر هذا التعريف في بيان مقصد النبي ﷺ في كيفية تعامله مع زوجاته وكيف أنه ﷺ أراد تعليم الأمة في تعامل الرجل مع أهله فهو القدوة الحسنة التي تسير الأمة خلفه في أقواله وأفعاله.

قال الشاطبي: "كل ما يخص رسول الله يخصنا، وما يعمه يعمنا"(١)، كما أنّ ما أورده الشارع يُعد سقفًا لعموم الأمة، يمكن للأمة أن تستدل بما أورده لوضع الحلول لجميع مشكلات العصر، والسقيفة الواحدة نعالج بها مشكلة واحدة، وذلك السقف يمثل مقصود الشارع يستظل أهل السقيفة تحتها، لذلك سنورد تطبيقات عدة يستفيد منها المسلمون من أخلاق النبي ﷺ وتعامله مع زوجاته.

النموذج الأول: خُلُق الوفاء

فقد روي في الحديث الصحيح أنه-عليه الصلاة والسلام-كان يتذكر مكانة زوجته خديجة والكيفية التي كانت تستأذن بها رسول الله ﷺ ووفاءه لها عندما طرقت أخت خديجة الباب على النبي ﷺ فيما روته عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتِ: **"اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ هَالَةَ"، قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ**

(١) الموافقات: ٦٩/٤.

قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا"[١]، وفي رواية أخرى عنها: قالت: **"كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله–عز وجل– بها خيرا منها قال: "ما أبدلني الله– عز وجل– خيرًا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله– عز وجل– ولدها إذ حرمني أولاد النساء"**[٢].

وجه الاستدلال: أنّ إخلاص النبي محمد ﷺ ووفاءه لخديجة–رضي الله عنها في حياتها، وبعد وفاتها لهو منهج رفيع لعموم الأمة في كيفية الوفاء في النظام الأسري المقاصدي الخاص، وحكمه يشمل عموم الأمة في حلِّ مشكلاتها الأسرية، فقد بقي ذلك الوفاء في حياتها وبعد وفاتها منهﷺ، وقد عرف صفة استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر خديجة بذلك[٣].

---

(١) حديث عائشة رضي الله عنها، صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري(ت٢٥٦هـ)، كتاب بدء الوحي، باب تَزْوِيجُ النَّبِيِّ ﷺ خَدِيجَةَ وَفَضْلُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ١ح(٣٨٢١)، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم: احمد محمد شاكر، مكتبة عباد الرحمن/مصر، مكتبة بن كثير/الكويت، ٢٠٠٨م.

(٢) حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، رواه احمد في مسنده، باب حديث السيدة عائشة، ١١٧/٦، ح(٢٤٩٠٨)، مؤسسة قرطبة – القاهرة، قال عنه شعيب الأرناؤوط: صحيح، وسنده حسن في المتابعات.

(٣) وقوله ارتاع: من الروع بفتح الراء، أي: فزع، والمراد من الفزع لازمه، وهو التغير، ووقع في بعض الروايات: ارتاح بالحاء المهملة، أي: اهتز لذلك سرورا، وقوله: "اللهم هالة" تقديره: فاجعلها هالة، و"حمراء الشدقين" المراد بذلك: نسبتها إلى كبر السن. فتح الباري: شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة / بيروت، ١٣٧٩هـ، ١٤٠/٧. ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن=

وعَن عَائِشَةَ-رضي الله عنها-أيضًا-قَالَتْ: **مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ فَيَقُولُ: "إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ"**(١).

وجه الاستدلال: إنّ النبي ﷺ أكثر من ذكر خديجة-رضي الله عنها، وذلك دليل وفائه ﷺ لها؛ لقول عائشة-رضي الله عنها: إنه كان يُكثر من ذكرها، فقلّما نجد نظيرًا لهذا الخُلق الرفيع في وقتنا الحاضر، وليس فقط من الأزواج تجاه زوجاتهنّ بعد وفاتهنّ، بل كذلك نفتقر لهذا الخُلق من الزوجات تجاه أزواجهن.

النموذج الثاني: خُلُق التواضع

فقد سُئلت عائشة-رضي الله عنها-عمّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ، قَالَتْ: **"كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ"**(٢).

الحجاج، يحيى بن شرف بن مري النووي، باب فضل خديجة ام المؤمنين، إحياء التراث العربي/ بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٨٦/٨.

(١) من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تَزْوِيجُ النَّبِيِّ ﷺ خَدِيجَةَ وَفَضْلُهَا-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (٤٥٩)، ح(٣٨١٨).

(٢) حديث إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ، صحيح البخاري (الجامع الصحيح) محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، (٢٥٦هـ)، كتاب بدء الوحي، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج. حسب ترقيم فتح الباري، ١٧٢/١، ح(٦٧٦)، دار الشعب/القاهرة، ١٤٠٧هـ، ط١.

وجه الاستدلال: أن من المقاصد الشرعية الرئيسة في البناء الأسري وإحياء الأسرة هو التواضع، وقد ظهر منه ﷺ في كيفية خاصة يمكن بها إعطاء درس في معالجة المشكلات الأسرية التي غلبها التوتر، واعتبار عمل الرجل في مساعدة زوجته مهانة تُنقِصُ رجولته، فكان درسًا عظيما من دروس التواضع ومنع التعالي والكِبر.

وعن عَائِشَةَ قَالَتْ: **دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِى جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثٍ فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِى، وَقَالَ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فقَالَ: "دَعْهُمَا"، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَإِمَّا قَالَ: "تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ"، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِى وَرَاءَهُ خَدِّى عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ: "دُونَكُمْ يَا بَنِى أَرْفَدَةَ"، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ: "حَسْبُكِ" قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "فَاذْهَبِى"**(١).

وجه الاستدلال: أنّ الرسول ﷺ أظهر تواضعه أيضًا مع عائشة أم المؤمنين وأنه تعامل معها مراعيًا صغر سنها وزرع السكينة والبشاشة في قلب زوجته، وأشعرها أنّ هذا الدين بعيد كل البعد عن الغلو أو التفريط في عموم المعاملات الأسرية وغير الأسرية، وفي جميع طبقات المجتمع، وذاك من قبيل عموم النص في الإدارة الأسرية وتواضعه الخاص مع زوجاته والتي يستفد منها عموم الأمة.

(١) حديث عائشة رضي الله عنها، صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ح(٢١٠٢)، ٢٢/٣، الجيل/بيروت، وبُعاث: اسم لمكان في المدينة، ويوم بُعاثٍ يومٌ تقاتل فيه الأوس والخزرج في الجاهلية، الدرق: جمع درقة وهى الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عصب.

النموذج الثالث: خلقه في مراعاة مشاعر زوجاته

ومن حديث صفية بنت حيي[(١)]، قالت: **دخل علي رسول الله ﷺ وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام، فذكرت ذلك له، فقال: "ألا قلت فكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى؟ وكان الذي بلغها أنهم قالوا نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها، وقالوا نحن أزواج النبي ﷺ وبنات عمه[(٢)]، وفي رواية: بلغ صفية أن حفصة قالت لها: ابنة يهودي فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال ﷺ: "وما يبكيك"؟ قالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي، فقال النبيﷺ: "إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنكِ لتحت نبي، فبم تفخر عليك؟!"، ثم قال ﷺ: "اتق الله يا حفصة"[(٣)]**.

---

(١) صفية بنت حيي بن أخطب، من الخزرج: من أزواج النبي-صلى الله عليه وسلم -كانت في الجاهلية من ذوات الشرف. تدين باليهودية، من أهل المدينة. تزوجها سلام ابن مشكم القرظي، ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر. وأسلمت، فتزوجها رسول الله ﷺ. روت عن النبي ﷺ عشرة أحاديث. توفيت في المدينة سنة (٥٠هـ). ينظر الاعلام للزركلي: ٢٠٦/٣.

(٢) حديث كنانة حدثتهم صفية بنت حيي-رضي الله عنها، سنن الترمذي (جامع الترمذي)، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، باب فضل أزواج النبي ﷺ، إحياء التراث العربي/ بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ٧٠٨/٥، ح(٣٨٩٢)، قال وفي الباب عن أنس، قال: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس إسناده بذلك القوي، قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد.

(٣) حديث أنس ﷺ، قال: بلغ لصفية قول حفصة-رضي الله عنها، صحيح ابن حبان مع حواشي الارناؤوط، محمد بن حبان بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي(٣٥٤هـ)، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، المنعوت بالأمير(ت: ٧٣٩هـ)، مؤسسة الرسالة، باب ذكر تعظيم النبي ﷺ صفية ورعايته حقها، ١٩٤/١٦، ح(٧٢١١)، قال عنه شعيب الارناؤوط، إسناده صحيح. رجاله ثقات، والترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ ح(٣٨٩٤) وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وجه استدلال الباحث: أنّ مراعاة مشاعر الزوجة يُعد من الأخلاق العظيمة التي اتصف بها النبي ﷺ، وقد ظهر هذا الخُلق جليًا في هاتين الروايتين؛ إذ أرشد زوجته صفية-رضي الله عنها-لحسن الردِّ عليهنَّ بكلام يظهر عِظم قدرها ورفعة مكانتها الاجتماعية.

المبحث الثاني

مقاصد النبي ﷺ في معاملة مواليه

تُعد السماحة وسطا بين التضييق والتساهل، كما قال ابن عاشور[١]، وهي من المبادئ العامة الإجمالية، راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والوسطية، لذلك راعى رسول الله ﷺ هذه السماحة مع مواليه والتي تعد أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها. أما الموالي المقصود بها هنا من كان عبدًا ثم أُعتق.

النموذج الأول: سفينة مولى رسول الله ﷺ

ومن الموالي سفينة، واسمه على الأشهر مهران، وأما سفينة فلقبٌ قيل إن النبي ﷺ أطلقه عليه.

حدّث سفينة مولى رسول اللهﷺ قائلا: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم فقال لي: ابسط كساءك، فبسطته، فجعلوا فيه متاعهم، ثم حملوه عليَّ، فقال لي رسول الله ﷺ: **"احمل، فإنما أنت سفينة"**[٢]، فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل عليَّ الا أن يجفوا.

وجه الاستدلال: نجد في معاملة النبي ﷺ لسفينة رضي الله عنه خُلقًا فريدًا، وهو رفع الثقة بالنفس وإيقاظ الهمم والقدرات والمواهب الربانية من خلال وصفه له بصفةٍ

(١) مقاصد الشريعة الاسلامية، لابن عاشور ١٨٤.

(٢) حديث سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، مسند أحمد بن حنبل، باب: حديث أبي عبد الرحمن مولى رسول الله، مؤسسة قرطبة / القاهرة، ﷺ ٢٢١/٥، ح(٢١٩٧٨)، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها، قال عنه شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، وينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، باب: أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٤٢٧هـ، ط١، ٩١/٥.

تعزز الاعتقاد الذاتي لديه، والذي يُثمر بالنهاية إلى استخدام أقصى ما لديه من قدرات ومهارات في عمله، والشاهد هو قول سفينة: "فلو أنني حُمِّلت حمل بعيرين أو ثلاثة أو أربعة.. لحملتها" من قول النبي ﷺ.

لقد اهتم الشارع بمراعاة النفس الإنسانية، فإذا دقق الناظر في مقاصد الشريعة وجد كل مقصد من مقاصدها راجعًا إلى معالجة أمر فطري في الإنسان يوجهه إلى البناء والعمل والخير ويحجزه عن الفساد والشر؛ ليكون ذلك الإنسان بشرًا سويا في أخلاقه وسلوكه كما كان كذلك في خُلُقه وتكوينه.

النموذج الثاني: يسار الراعي مولى رسول الله ﷺ

لقد اتصف النبي ﷺ بحسن خلقه في معاملة مواليه، وقد ظهر في تعامله مع غلامه يسار، وقد أحسن صلاته، فمنحه ﷺ الحرية جزاءً لذلك، وقد روي أنه **كان لرسول الله ﷺ غلام، يقال له: يسار، فنظر إليه يحسن الصلاة فأعتقه**(١).

ونقل عنه السخاوي(٢): يسار الراعي الذي قتله العرنيون، وكان النبي ﷺ أعتقه لما رآه يحسن الصلاة(٣).

---

(١) حديث سلمة بن الأكوع، إمتاع الأسماع بما للنبى ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن على المقريزى(٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى، العلمية/بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٣٢٠/٦، وينظر سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ١١/ ٤٠٩.

(٢) علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي، أبو الحسن، علم الدين(٥٥٨ – ٦٤٣ هـ): عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير، وله نظم. أصله من صخا (بمصر) سكن دمشق، وتوفي فيها، ودفن بقاسيون. من كتبه: جمال القرء وكمال الإقراء (في التجويد)، هداية المرتاب، منظومة في متشابه كلمات القرآن. ينظر الأعلام: ٣٣٤/٤.

(٣) الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي ﷺمن الخدم والموالي: ٦٢/١، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢) هـ، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، مكتبة المنار/ الاردن، ١٤٠٧هـ، وقد ذكر الاصفهاني=

يقول الشاطبي في بيان مقاصد المكلف من التكليف وقد افتتح الحديث بقاعدة: "الأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة في التصرفات من العبادات والعادات"(١)، فلا ثواب ولا عقاب للإنسان إذا أقدم على فعل ديني إن لم تصاحبه نية، وقد استشعر النبي ﷺ النية والإخلاص والتي ظهر أثرها عندما رأى يسارًا يحسن أداء صلاته؛ فكافأه بالعتق وعلم قصده في دينه ودنياه.

وجه الاستدلال: قال-تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢)، هذه الآية الكريمة دليل على أنّ ميزان التفاضل بين الناس هو التقوى، فإحسان يسار ﷺ في أداء صلاته كان دليلًا واضحًا على تقواه، فالنبي محمد ﷺ أعتقه لهذه الخصلة الحميدة التي اتصف بِها، وإنما يدل ذلك على خلقه العظيم، وكما وصفته السيدة عائشة-رضي الله عنها-عندما سُئلت عن خلقه فقالت:

قصة يسار من حديث سلمة بن الاكوع، قال: "كان للنبي ﷺ غلام يقال له: يسار، فنظر إليه يحسن الصلاة فأعتقه، وبعثه في لقاح له بالحرة، وكان بها قال: فأظهر قوم الإسلام من عرينة، وجاءوهم مرضى موعوكين، قد عظمت بطونهم، قال: فبعث بهم النبي ﷺ يسار، فكانوا يشربون ألبان الإبل حتى انطوت بطونهم، ثم غدوا على يسار فذبحوه، وجعلوا الشوك في عينيه، ثم طردوا الإبل، فلحقهم، فجيء بهم إليه، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم)) لقاح: الناقة ذات اللبن، الموعوك: الذي يعاني آلام وشدة الحمى، الغُدُو: السير أول النهار، سمل العين: أحْمَى لهم مَسامِير الحَديد ثم كَحَلَهم بها وفقأ أعينهم. ينظر معرفة الصحابة، للأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، الباب يسار مولى النبيﷺ ٢٨٠٩/٥، (٦٦٥٧)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن / الرياض، ١٤١٩هـ، ط١. وينظر المعجم الكبير، للطبراني (٣٦٠هـ)، ٩٨/٦، ح(٦٠٩٩).

(١) الموافقات، ٣٢٥/٢.

(٢) سورة الحجرات، جزء من الآية ١٣.

"**كان خلقهُ القرآن**"[١]، وفي ذلك مقصد شرعي، ومصلحة عامة للأمة، حيث جعل النبي محمد ﷺ حسن أداءِ الصلاة والتي هي أهم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادة سببًا في تكريم الإنسان ورِفعة شأنه.

النموذج الثالث: أَنَس ﷺ مولى رسول الله ﷺ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "**خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلاَ عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ**"[٢]، وعن أنس ﷺ أيضا- قَالَ: "**خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ لِمَ صَنَعْتَ، وَلاَ أَلا صَنَعْتَ**"[٣].

وجه الاستدلال: أن الحاجة ماسة للوقوف عند هذا الخلقِ العظيم للنبي محمد ﷺ في تعامله مع أنس ﷺ؛ كي نحاول قدر المستطاع الإقتداء به-عليه الصلاة والسلام-في تعاملنا مع أولادنا وأزواجنا في أُسرِنا، أما في المجتمعات التي تتخذ من الخادمة أو الخادم العمل في المنزل فمن الواجب عليهم الإقتداء بالنبي محمد ﷺ في تعامله الراقي والرحيم مع مواليه؛ مخافة وقوع الظلم على الرعية ومنهم الخدم في هذه المجتمعات؛ مما يولد الحقد لديهم، والذي قد يؤدي بهم إلى ارتكاب الجرائم البشعة

(١) حديث سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت، أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، مسند أحمد بن حنبل، باب حديث السيدة عائشة-رضي الله عنها، ١٦٣/٦، ح(٢٥٣٤١). تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) حديث أنس ﷺ، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، (٦٥٦)، ح(٢٣٠٩)

(٣) حديث أنس ﷺ، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب بدء الوحي، (٧٣١)، ح(٦٠٣٨).

نتيجة القهر والظلم عليهم؛ ولهذا نجد أبا حنيفة منع الحجر على الإنسان إن بلغ الخامسة والعشرين فاهتم بكرامته وقدمها على هدره المال وإن لم يكن يحسن التصرف في ماله، وإنْ اتُّهِم بالسفه فيحكم له بدفع المال إليه سواء علم منه الرشد أو لم يعلم؛ فقدم كرامته على ماله ويتحمل الضرر الأخف في إضاعة المال على الضرر الأشد وهي كرامته؛ لأنّ في منعه إهدار آدميته، وإلحاقه بالبهائم بالحجر على تصرفاته المالية، وإبطالًا لأهليته(١).

وما أشرت إليه من إكرام النفس الإنسانية وعدم إهانتها يعد حفظًا للنفس ومنعِ وقوع الضرر عليها، ويعد من كليات الشريعة باعتبارها مقصدًا من المقاصد القطعية.

يقول الخادمي(٢): "والمقاصد باعتبار القطع والظن تنقسم إلى قسمين:

أ- المقاصد القطعية: وهي التي تواترت على إثباتها طائفة عظمى من الأدلة والنصوص، ومثالها: التيسير ورفع الحرج، والأمن، وحفظ الأعراض، وصيانة الأموال، وإقرار العدل...

---

(١) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين التفتازاني الشافعي(٧٩٣هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، العلمية/ بيروت، ١٤١٦هـ، ط١، ٤٠٥/٢، وهنا ذكر أبو حنيفة عدم منع السفيه عن تصرفاته المالية بعد أن وصل الخامسة والعشرين؛ لأنه إهدار لكرامته، فتقدم على المال، وإن أتلف ما عنده من المال أو علم إتلافه. المصدر نفسه ٢/ ٤٠٦.

(٢) نور الدين مختار الخادمي، تونسي الجنسية، مواليد مدينة (تالة) بولاية (القصرين) يوم ١٨ مايو ١٩٦٣م. حصل على الدكتوراه في الفقه وأصوله. يدرس في جامعة الزيتونة، ومدير قسم الشريعة فيها، ودرس سابقا في جامعة الامام والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وكلية المعلمين بمكة المكرمة. له مؤلفات عدة منها الاجتهاد المقاصدي، أبحاث في مقاصد الشريعة. ينظر الاجتهاد المقاصدي للخادمي، تقديم عمر عبيد حسنة: (٩)، وينظر المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث، ٣٦٢/١.

ب- المقاصد الظنية: وهي التي تقع دون مرتبة القطع واليقين"[١].

ونجد من قبيل المقاصد القطعية اليقينية الكليات الخمس الشهيرة، كحفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ومقصد التيسير ورفع الضرر، ومقصد دفع الضرورة القصوى والحاجة القاهرة، ومقصد تقرير الامتثال الأكمل والتعبد الصحيح، وارتباط المقاصد بوسائلها، ومقصد العدل والمساواة والأمانة، وسائر قيم الأعمال وفضائل الأخلاق[٢].

(١) الاجتهاد المقاصدي ضوابطه ومجالاته، نور الدين الخادم، تقديم: الشيخ عبيد حسنه، دار ابن حزم/بيروت، ١٤٣١هـ، ط١، ١/٣٦.

(٢) الاجتهاد المقاصدي: ١/١٩١.

المبحث الثالث

مقاصد النبي ﷺ في معاملة أصحابه

لقد راعى النبي ﷺ المصلحة الخاصة لكل صحابي من صحابته؛ فكان ذلك إيقاظًا لهممهم في رعاية مصلحة الأمة أصالة أو تبعًا، فاهتم لصفة القيادة عند أسامة وخالد؛ رعاية للمقصد العام، واهتم بالكليات الخمسة، وخصّ حفظ الدين بعد أنْ أخذ النبي ﷺ برأي الحباب بن المنذر في غزوة بدر الكبرى، وأعطى ألقابًا لكل صحابي منهم؛ إعلاء لشأنهم وتكريمًا لفضلهم، وكل ذلك يتبين جليًا في النماذج الثلاثة التي نوردها في التطبيقات الآتية في مقاصد النبي ﷺ.

النموذج الأول: أسامةُ بن زيد ﷺ

كانت كبرياء دولة الروم قد جعلتها تأبى حق الحياة على من آمن بالله وحملها على أن تقتل من أتباعها من يدخل في الإسلام من قبل الروم، ونظرًا إلى هذه الجراءة والغطرسة، أخذ رسول الله ﷺ يجهز جيشًا كبيرًا في صفر سنة١١هـ، وأمَّرَ عليه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أنْ يوطئ الخيل تُخُوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، يبغي بذلك إرهاب الروم وإعادة الثقة إلى قلوب العرب الضاربين على الحدود؛ حتى لا يحسبن أحد أن بطش الكنيسة لا معقب له[(١)]، وأن الدخول في الإسلام يجر على أصحابه الحتوف فحسب[(٢)]، وقد تكلم الناس في قائد الجيش لحداثة سنه، واستبطأوا في بعثه، فعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

(١) إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن على المقريزى(ت٨٤٥هـ)، ١٢٣/٢- ١٢٤، في خروج أسامة وجيشه، وخطبة رسول الله ﷺ في أمر أسامة ﷺ. وينظر الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، المطبعة العصرية – بيروت، ١٤٣٥هـ، ٤٥٦/١.

(٢) الحتف: القدر والمنون. ينظر لسان العرب: باب منون، ٢٩٢/١٥، وينظر المصادر السابقة.

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ، إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَه"(١).

وانتدب الناس يلتفون حول أسامة، وينتظمون في جيشة حتى خرجوا ونزلوا الجُرْف(٢)، على فَرْسَخ من المدينة إلا أن الأخبار المقلقة عن مرض رسول الله ﷺ ألزمتهم التريث حتى يعرفوا ما يقضي الله به، وقد قضي الله أن يكون هذا أول بعث ينفذ في خلافة أبي بكر الصديق.

وجه الاستدلال: أن من وجوه الاستدلال في هذا المقال ما يأتي:

١- أن موقف النبي ﷺ في تعامله مع أسامة-رضي الله عنه-فيه من المقاصد العامة التي نسعى لتحصيلها في واقعنا المعاصر، وذلك باقتداء الآباء بالنبي ﷺ في هذا

(١) حديث عبد الله بن عمر ﷺ، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب مَنَاقِبُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ، (٤٥١)، ح(٣٧٣٠). لقد خرج أسامة فدفع لواءه إلى بريدة بن الحصيب، فخرج به إلى بيت أسامة، وعسكر بالجرف، وخرج الناس ولم يبق أحد من المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب [أسرع في النهوض اليها] في تلك الغزوة، كعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وأبي الأعور سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل-رضي الله عنهم، في رجال آخرين، ومن الأنصار عدة مثل، قتادة بن النعمان، وسلمة بن أسلم ابن جريش. وطعن رجال من المهاجرين في تأمير أسامة فقال رجال من المهاجرين - وكان أشدّهم في ذلك قولا عياش بن أبي ربيعة: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، فكثرت القالة، وسمع عمرﷺ بعض ذلك فردّه على من تكلم، وأخبر رسول الله ﷺ به فغضب غضبا شديدا، وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: خطبة رسول الله ﷺ في أمر أسامة ﷺ. ينظر: إمتاع الأسماع بما للنبى ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: ٢/ ١٢٣.

(٢) والجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة وفيه بئر جشم وبئر جمل. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر/ بيروت، ١٢٨/٢.

التعامل في تربية الأولاد عن طريق اكتشاف القدرات والطاقات التي يمتلكها الولد كما فعل النبي ﷺ مع أسامة.

٢- أن النبي ﷺ خصّ أسامة بن زيد بإمارة المسلمين في مقاتلة الروم وبيان مكانته عنده لما وجد فيه طاقة الشباب في اختيار القائد بما يتناسب مع الواقعة على الرغم من وجود كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، فإنه تعامل مع محبيه وأعطاهم دافعًا معنويًا في القيادة، ونحن نفتقر اليوم للقادة المصلحين في جميع مجالات الحياة

٣- أنّ ما ذكرناه آنفا يُعدُّ من المصالح العامة التي تنطبق مع مقاصدها. يقول الريسوني[(١)]:

"انّ العلاقة بين مقاصد الشريعة ومفهوم المصلحة علاقة تضمُّن، بمعنى أنّ مقاصد الشريعة تستوعب مفهوم المصلحة وتحتويه، وهذا يؤكد تطابق مفهوم المصلحة مع مقاصد الشريعة"[(٢)].

النموذج الثاني: الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه[(٣)]

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني الحسني الادريسي العروسي، أبو العباس (١٨٥٤ - ١٩٢٥ م): ثائر، له زعامة، من مناوئي الاستعمار الفرنسي في المغرب الاقصى. من قرية تسمى (زينات) من بني عروس (بفتح العين وتشديد الراء المضمومة) يسميه الفرنج (الريسولي) باللام، ويدعوه رجاله (الشريف الريسوني) أخباره كثيرة. ناهز السبعين من عمره في المغرب وكان مريضا، وحمل مع أهله إلى بلدة (تماسنت) في الريف، فمات فيها.

(٢)نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٤، بيروت، ١٤١٥هـ، (٨٦)

(٣) الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري الخزرجي ثم السلمي: صحابي، من الشجعان الشعراء، يقال له (ذو الرأي) قال الثعالبي: (هو صاحب المشورة يوم بدر). توفي سنة عشرين بعد الهجرة. الأعلام: ١٦٣/٢.

روي أنّ النبي ﷺ لما أراد أن يعترض قافلة قريش في غزوة بدر الكبرى عندما أراد أن ينازلهم الماء، فسبق قريشًا، وقد استشار أصحابه، وقد أشار عليه الحباب بن المنذر بن الجموح، فقال: **يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، فقال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم تغوّرِ ما وراءه من القِلَب، ثم نبني عليه حوضًا، فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب، ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: "لقد أشرت بالرأي"ح فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب، فغورت، وبني حوضًا على القلب الذي نزل، فمُلِيء ماءً، ثم قذفوا فيه الآنية**(١).

وجه الاستدلال: أنّ من المقاصد القطعية التي اهتم بها التشريع الإسلامي ودلت عليه النصوص الشرعية من القرآن والسنة هو مبدأ الشورى قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(٣)، وقد اعتمده النبي ﷺ في أسرى بدر كما اعتمده الحباب بن المنذر رضي الله عنه عندما أشار على النبي ﷺ

(١) السيرة النبوية لابن هشام، باب غزوة بدر الكبرى، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (ت: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٦٨/٣. والقِلَب: الآبار، وينظر السنن الكبرى للبيهقي، فيما رواه حماد عن يحيى بن سعيد قال: استشار رسول الله ﷺ يوم بدر، فقال الحباب بن المنذر: نرى أن تغور المياه كلها غير ماء واحد فنلقى القوم عليه، باب قطع الشجر وحرق المنازل، ٨٤/٩، ح(١٨٥٩٠).

(٢) سورة الشورى، الآية/ ٣٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية/ ١٥٩.

وهو يعلم أنّه يلزم الشورى في أمور الأمة، ويأخذ بمشورته في تحديد موقع المعركة، وأخذ برأيه وغوّر آبار بدر كي يمنع المشركين من شرب ماءه واتخذ حوضًا يشرب منه المسلمون، ونلخِّص القول بما يأتي:

١- اعتماد النبي ﷺ مبدأ الشورى وأخذ رأي أصحابه إذا كان ذلك يحقق مصلحة عامة للأمة.

٢- اهتمام النبي ﷺ بحفظ الدين الذي يعد من ضروريات الأمة ومن كلياته الخمسة.

النموذج الثالث: عمرُ وخالدُ وأبو عبيدة (رضي الله عنهم).

الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ: روي عن ابن عباس ﷺ قال: سألت عمر بن الخطاب ﷺ: لأي شيء سميت الفاروق؟ قال: **"أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، وخرجت بعده بثلاثة أيام، فإذا فلان ابن فلان المخزومي، قلت له: أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد؟ قال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم حقا مني عليك قلت: من هو؟ قال: ختنك – زوج الأخت– وأُختُك، وذكر قصة إسلامه عندما ذهب الى دار الأرقم وقال: قلت: يا رسول الله، ألسنا على الحق، إن متنا وإن حيينا؟ قال: "بلى، والذي نفسي بيده إنكم لعلى الحق إن متم وإن حييتم" قال: فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن، فأخرجناه في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر له كديد[1] ككديد الطحين،**

(١) والكديد: التراب الناعم فاذا وطيء ثار غباره. لسان العرب، مادة (كدد)، ٣٧٧/٣

حتى دخلنا المسجد قال: فنظرت إلي قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ الفاروق وفرّق بين الحق والباطل"[(١)].

سيف الله المسلول خالد بن الوليد ﷺ: روي أنّ عبد الرحمن بن عوف ﷺ شكى إلى رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: يا خالد، لِمَ تؤذي رجلا من أهل بدر؟ لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله"، فقال: يا رسول الله، يقعون فيّ، فأردُّ عليهم، فقال رسول الله ﷺ: **"لا تؤذوا خالدًا، فإنه سيف من سيوف الله صبّه الله على الكفار"**[(٢)].

أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ﷺ: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **"أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم**

---

(١) دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، باب أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام وخرجت بعده، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الاصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، ١/ ٢٢١، وينظر السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون:، باب بسم الله الرحمن الرحيم باب الهجرة، علي بن برهان الدين الحلبي، (ت ١٠٤٤هـ)، دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠٠هـ، ٢٢/٢، وينظر إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: للمقريزى(ت٨٤٥هـ)، ٣٦٠/٤

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، من حديث عبد الله بن ابي أوفى، باب ذكر تسمية المصطفى ﷺخالد بن الوليد سيف الله المسلول، ٥٦٦/١٥، ح(٧٠٩١)محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير(ت: ٧٣٩هـ)، مؤسسة الرسالة. وروى أحمد في مسنده عن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح على الشامن وعزل خالد بن الوليد، قال: فقال خالد بن الوليد: بعث عليكم أمين هذه الأمة سمعت رسول الله ﷺ يقول: أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. قال أبو عبيدة= سمعت رسول الله ﷺ يقول خالد سيف من سيوف الله-عز وجل، ونعم فتى العشيرة. مسند أحمد بن حنبل، باب حديث يزيد عن العوام ﷺ، ٩٦/٤، ح١٦٨٦٩، مؤسسة قرطبة / القاهرة، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: "ونعم فتى العشيرة"، فهو حسن لغيرهن وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه عبد الملك بن عمير، وهو اللخمي، لم يدرك أبا عبيدة ولا خالد بن الوليد ولا عمر بن الخطاب.

حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبي، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدةُ بن الجراح"[(١)].

وجه الاستدلال: أنّ النبي ﷺ خص كلّ صحابي بلقب يميزه عن غيره أراد منه تعزيز الثقة بالنفس، وذلك في منح كل واحد من هؤلاء الصحابة-رضي الله عنهم-لقبًا يليق به؛ مما يدل على حكمته وبراعته في اكتشاف مواطن القوة في شخصيتهم، فيولد هذا اللقب دافعًا وحافزًا لديهم لتنمية هذه الصفة واستخدامها لصالح الأمة وتحصيل المصلحة العامة للأمة من المقاصد الكلية للشريعة.

حبذا لو نقتدي نحن كآباء وأمهات بالنبي محمد ﷺ، والعمل على اكتشاف مواطن التميز والقوة لدى أبناءنا وبناتنا والعمل وتعزيزها وتنميتها، فنمنحهم ألقابًا تكون حافزًا لهم على العطاء والنجاح والإبداع والتميُّز. يقول الشاطبي: "إنّ مقاصد الشارع في وضعهِ الشريعة ابتداءً هي أنها وضعت لمصالح العباد في الدارين، ومن ثَمّة كان كلّ حكم من أحكامها الكلية أو الجزئية يُمثِّلُ المصلحة، ويعمل في نطاق تحقيقها وتوكيدها"[(٢)].

ويقول ابن عاشور: "وإنْ كان بعض العلماء جرى على تسمية المصلحة العامة بالكلية، والخاصة بالجزئية"[(٣)]. يقول الريسوني عن الكليات العامة: ((وأعني بالكليات العامة: الكليات النصية، والكليات الاستقرائية، ومن الكليات النصية

(١) حديث أنس بن مالك ﷺ، رواه الترمذي في سننه، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد وأُبي بن كعب وأَبيْ عبيدة بن الجراح ﷺ، (٣٧٩٠)، ٥/٦٦٤، قال: هذا حديث حسن غريب لا تعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبي ﷺ نحوه، والمشهور حديث أبي قلابة.

(٢) الموافقات: ٢/٥.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، للطاهر ابن عاشور، (٨٦).

التي جاءت في نصوص القرآن الكريم" العدل "في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾[١]. أما عن الكليات الاستقرائية – وهي التي يتوصل إليها عن طريق استقراء عدد من النصوص والأحكام الجزئية –المصلحة "[٢].

(١) سورة النساء، الآية/ ٥٨.

(٢)نظرية مقاصد عند الامام الشاطبي، احمد الريسوني، (٣٦٩) وبعدها.

المبحث الرابع

مقاصد النبي ﷺ في معاملة الكفار

لقد كانت دعوة النبي ﷺ قائمة على مقصد عظيم وهو توحيد الله-تعالى وعبادته، وقد دلت النصوص على ذلك في الكتاب والسنة، وكان المقصد عظيمًا في شخصية النبي ﷺ؛ إذ اتصفت شخصيته بالرحمة فيمن آذاه، والسماحة والرفق والتخفيف ورعاية حقوق الإنسان، وفيما يأتي نماذج من هذه المقاصد.

النموذج الأول: تعامل النبي ﷺ الأخلاقي مع أهل الطائف

عن عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: **"لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الأَخْشَبَيْنِ) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"**[1].

(١) من حديثَ عائِشَةَ، رَضي اللَّهُ عَنْهَا، رواه البخاري في صحيحه، حسب ترقيم فتح الباري، كتاب بدء الوحي، باب اذا قال أحدكم آمين والملائكة، ١٤٠/٤، ح(٣٢٣١)، الشعب/ القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين، ١٨١/٥، ح(٤٧٥٤) واللفظ للبخاري. (ما لقيت) أي لقيت الكثير من الأذى. (يوم العقبة) مكان مخصوص في=

وجه الاستدلال: هذا النموذج يمثل أعظم مقصد من المقاصد الشرعية وأهمها، وهو توحيد الله-تعالى، وصبر النبي ﷺ على أذى أهل الطائف، فلعل الله-تعالى-أن يُخرِج من أصلابهم من يقول لا اله إلا الله، فلم ينتصر النبي ﷺ لنفسه، بل همه ما ذكرتُ أن يُخرِج من أصلابهم من يوحِّد الله-تعالى، وبذلك يحفظ الدين، وتقوى شوكته، فالله-تعالى-قصد من الخلق عبادته والإمتثال إليه، وإصلاح الخلق وإسعادهم في العاجل والآجل، ودلت على ذلك آيات كثيرة، منها قوله-تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)]، والنبي ﷺ حمل أصول الفضائل وقواعد الأخلاق وآداب التعامل الإنساني العالي والمقاصد الدينية الراقية، والتي جمع آحادها وأجناسها وأنواعها قوله ﷺ: **"بُعِثتُ لأُتمِمَ مكارمَ الأخلاق"**[(٢)].

ومن هذه المقاصد تبينت الخصائص العامة للشريعة الإسلامية على نحو خاصية التسامح والتخفيف وإرادة الإصلاح، قال-تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[(٣)]، الغرض الأسمى من إرسال رسوله وبيان شريعته إنما هو

الطائف. (على وجهي) باتجاه الجهة المواجهة لي. (بقرن الثعالب) اسم موضع بقرب مكة وأصل القرن: كل جبل صغير منقطع من جبل كبير، والثعالب جمع ثعلب وهو الحيوان المشهور. (ذلك) أي ذلك كما قال جبريل وكما سمعت منه. (الأخشبين): جبلا مكة: أبي قبيس ومقابله قعيقعان، سميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، يقال: رجل أخشب: إذا كان صلب العظام قليل اللحم. (أصلابهم): جمع صلب، وهو كل ظهر له فقار.

(١) سورة الذاريات، الآية/٥٦.

(٢) حديث أبي هريرةﷺ، السنن الكبرى، للبيهقي، باب مكارم الأخلاق ومعاليها، ١٩١/١٠، ح(٢٠٥٧١)، المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: ٦٧٠/٢، ح(٤٢٢١)، مع تعليقات الذهبي في التلخيص، قال عنه الذهبي: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) سورة الأنبياء، الآية /١٠٧.

تحقيق الرحمة في شتى أنواعها وسائر مظاهرها ومختلف مجالاتها: في الاعتقاد، والتعبد، والتعامل، وليست كلمة الرحمة هنا سوى تصريح بمقصدٍ عالٍ يحوي ما لا يُحصى من المقاصد الفرعية والمصالح المتنوعة في أحكام هذه الرسالة وتعاليمها(١).

النموذج الثاني: تعامل النبي ﷺ الأخلاقي مع جنازة اليهودي

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّت بِنَا جَنَازَةٌ؛ فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقُمْنَا بِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ، قَالَ: **"إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا"**(٢)، وروي عنه أيضا: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ، فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: "أَلَيْسَتْ نَفْسًا"**(٣).

وجه الاستدلال: أن النبي ﷺ أعطى صورة رائعة من صور حقوق الإنسان انطلاقًا من فعله ﷺ، والذي يمثل دستورا من دساتير الأمة القائم على عدم التفرقة بين المسلم وغير المسلم، وإبقاء مكانته الإنسانية وعدم هدرها، وإنْ كان ميتًا، فكان ﷺ يقوم للنفس الإنسانية؛ إكرامًا لخالقها، وإكرامًا لها، فكيف بنا اليوم وهذه النفس الإنسانية يعتدى عليها وهي حية ترزق، ويستهان بدمائها الزكية، بل وصلت الجرأة بأن تقدم النفس الحيوانية عليها.

---

(١) ينظر الاجتهاد المقاصدي ضوابطه ومجالاته: ٤٥/١، ٥٣/١.

(٢) حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ، ١٠٧/٢، ح(١٣١١) حسب ترقيم فتح الباري.

(٣)حديث عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، أَيْ: مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالاَ.. الحديث، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ، ٢/ ١٠٧، ح(١٣١٢) حسب ترقيم فتح الباري.

وعلى الرغم من واقع الإنسان في عالم المسلمين، أو واقع حقوق الإنسان الذي قد لا يرقى إلى مستوى حقوق الحيوان في بعض الثقافات والمجتمعات الأخرى، مع ذلك ما تزال القيم الإسلامية – معقد الأمل–في امتداد وصعود وظهور، والإيمان بها يمتد في سائر الحضارات والثقافات والشعوب، ولعل ذلك مؤشر على أن القيم الإسلامية الخالدة قادرة على إقناع الإنسان بها، والارتحال إليها..، وهذا مؤذن بظهور الدين الإسلامي على سائر الأديان كلها[١].

إنّ التركيز على حقوق الإنسان، مع إهمال كيان الإنسان، ومع إهدار جوهر الإنسان، هو من قبيل تركيزهم على حقوق الإنسان دون تركيز مماثل على واجبات الإنسان حتى أصبحنا أمام إنسان الحقوق لا أمام حقوق الإنسان، ومن قبيل تضخيمهم للبعد الفردي على البعد الجماعي لحقوق الإنسان، إلى غير ذلك من القيم المقلوبة كما أنّ القضية المهملة أو المغيبة لدى حركة حقوق الإنسان وفي ثقافة حقوق الإنسان، ألا وهي إنسانية الإنسان، وسبب الامتياز والتفضيل لهذا الإنسان، وفي قصة خلق آدم ـ عليه السلام ـ تصريح بما خص الله–تعالى–به جنس الإنسان من أسباب التمييز والتكريم والتفضيل، فقرأ ذلك في أمثال هذه الآيات[٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣]، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[٤]، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٥].

(١) حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني وباحثون آخرون، تقديم بقلم: عمر عبيد حسنه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / قطر، ١٤٢١هـ، ط١، ١/٢٤.

(٢) حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة: ١/٢٩.

(٣) سورة البقرة: الآية/ ٣٠.

(٤) سورة البقرة: الآية/ ٣١.

(٥) سورة العلق: الآية/ ٥.

ويعتبر حق الحياة أول الحقوق الأساسية وأهمها في حقوق الإنسان، وهو الحق الأول للإنسان، وبعده تبدأ سائر الحقوق، وعند وجوده تطبق بقية الحقوق، وعند انتهائه تنعدم الحقوق[1]، فكما أنّ للإنسان حقا في حياته، فله حقٌّ كذلك بعد مماته، فيراعى جانب إنسانيته قبل دفنه وقوفًا لتلك النفس الإنسانية دون النظر لما يحمله من اعتقادٍ أو سلوكٍ أخلاقي قبل موته، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع الجنازة التي تعد نفسًا إنسانيةً، قصد النبي ﷺ الوقوف لأجلها.

(١) حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة: ١/٧٠

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد ﷺ، بعد إكمال بحثي الموسوم: (مقاصد الشريعة في ضوء أخلاق النبي محمد ﷺ الاجتماعية) أودُّ بيان أهمِّ النتائج التي تتعلق ببحثي هذا، وهي كالآتي:

١- أنَّ النظرة المقاصدية في معاملة رسول الله ﷺ لزوجاته على وجه الخصوص تنعكس إيجابًا على الحالة النفسية للزوجة، فالزوجة المكرمة من قبل زوجها تعطي سلوكًا إيجابيًا في التربية الأسرية عمومًا، وتربية الأولاد خصوصًا لتنشأ الذرية الصالحة، وهذه الغاية الأساس المرجوَّة في بحثي هذا.

٢- من نظرتنا لتعريف مقاصد الشريعة باعتبارها غايات وأسرارا وضعها الشارع في كل حكمٍ من أحكامها وجدنا أنّ من تمحَّص في السنة النبوية وجدها قائمة على أساس حفظ الكليات الخمسة والقواعد الأصولية الإجمالية أو المباديء العامة، كالعدل، والسماحة، والشورى، والتراحم، ورفع الحرج، وغيرها من المباديء التي تجلّتْ على وجه العموم في ظِلِّ السنة النبوية، فكانت هذه المباديء والقواعد من المقاصد القطعية، والمصالح العامة على الرغم من انها خاصة في مواضع معينة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٣- أنّ هناك تلازمًا حقيقيًا ما بين الدين والخُلُق فلا ينفكُّ أحدهما عن الأخر، وهذا ما وجدناه في أخلاقِ النبي ﷺ؛ إذ وصفه القرآن الكريم بصاحب الخلق العظيم، إذ ظهر ذلك جليًا مع زوجاته أمهات المؤمنين وصحابته ومواليه، بل مع الكفار.

٤- أنّ ما اصطلح عليه المعاصرون عن حرية الإنسان أو حقوق الإنسان لا بد أن يُفهم على صورته الحقيقية التي وجدناها في المجتمع الإسلامي في العصور المتقدمة؛ فلا ينبغي أن يُأوّل على أساس التفلّت والانحلال، كما يدعو إليه اليوم دعاة الحرية، بل ينبغي أن تكون الحريةُ منضبطة وفق التعاليم الشرعية وقيمه الاسلامية.

وأخيرًا، فأسأل الله تعالى أنْ أكونَ قد وفّقتُ في موضوعِ بحثيَ هذا، فبنعمته تتِمُّ الصالحات، والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الاجتهاد المقاصدي -حقيقته- تاريخه- حجيته- ضوابطه-مستلزماته-مجالاته معالمه وتطبيقاته المعاصرة، نور الدين مختار الخادمي، تقديم: الشيخ عمر عبيد حسنة، دار ابن حزم/بيروت - لبنان، ١٤٣١هـ، ط١.

٢- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م.

٣- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن على المقريزى (٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى، العلمية/ بيروت، ١٤٢٠هـ، ط١.

٤- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني وباحثون آخرون، تقديم: عمر عبيد حسنه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / قطر، ١٤٢١هـ، ط١.

٥- الرحيق المختوم، صفي الدين الرحمن المباركفوري، المكتبة العصرية/ بيروت، ١٤٣٥هـ.

٦- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، بيروت / لبنان، (د ت).

٧- سنن الترمذي (جامع الترمذي)، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، إحياء التراث العربي/ بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، وطبعة ودار السلام/ المملكة العربية السعودية- الرياض، ١٤٢٠هـ، ط١.

٨- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، (ت ١٠٤٤هـ)، دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠٠هـ.

٩- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد(ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل / بيروت، ١٤١١هـ، ط١.

١٠- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (ت: ٧٩٣هـ) تحقيق: زكريا عميرات، العلمية / بيروت، ١٤١٦هـ، ط١.

١١- صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان، محمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ت (٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الاناؤوط، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير(ت: ٧٣٩هـ)، مؤسسة الرسالة.

١٢-صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ) ، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم: احمد محمد شاكر، مكتبة عباد الرحمن/مصر، مكتبة بن كثير/الكويت. ٢٠٠٨م، ط٢.

١٣-صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجيل/بيروت، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم: احمد محمد شاكر، ومكتبة عباد الرحمن/مصر، مكتبة بن كثير/الكويت. ٢٠٠٨م، ط٢.

١٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي، نسقه: أسامة بن الزهراء، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٤٢٧هـ، ط١.

١٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، العسقلاني الشافعي، المعرفة/ بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٦- الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي ﷺ من الخدم والموالي: الإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي(ت٩٠٢)هـ، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، مكتبة المنار/الأردن، ١٤٠٧هـ.

١٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر/ بيروت، إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، ودار لسان العرب / بيروت.

١٨- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، الكتب العلمية/ بيروت، مع تعليقات الذهبي في التلخيص، ١٤١١هـ، ط ١.

١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة/القاهرة، تخريج وتعليق: شعيب الأرناؤوط، د ت.

٢٠- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني(ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي الاعظمي، طبع وزارة الأوقاف / بغداد، ط٢.

٢١- معجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي/ دمشق، د ت.

٢٢- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر/ بيروت، ١٣٩٩هـ

٢٣- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن / الرياض، ١٤١٩هـ، ط١.

٢٤- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، دار البصائر للإنتاج العلمي، ١٤١٨هـ، ط١.

٢٥- مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها: علّال عبد الواحد بن عبد السلام الفهري الفاسي (ت١٩٧٤م)، دار البيضاء/المغرب، نشر مكتبة الوحدة العربية، د ت.

٢٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٣٩٢هـ، ط٢.

٢٧- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠هـ)، شرح وتعليق: عبد الله الدراز، المكتبة التوقيفية / القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م. وطبعة دار ابن عفان، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ١٤١٧هـ، ط١.

٢٨-نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، احمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٤، بيروت، ١٤١٥هـ.